التشبيه إلا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لأن بعضهم وهم فساق
الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لأن زوال الحكم عن
الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فإنهم مفارقون
عن الجنة أيام عذابهم فإن التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء
كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وإن شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بإيمانهم
ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لأن من
شرطه أن يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لأن ذلك الشرط حيث التقسيم
لانفصال حقيقي أو مانع من الجمع وهاهنا المراد أن أهل الموقف لا يخرجون عن
القسمين وأن حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الأ
مرين في شخص باعتبارين أو لأن أهل النار ينقلون منها إلى الزمهرير وغيره من
العذاب أحيانا وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة كالاتصال
بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه أو من أصل الحكم والمستثنى زمان
توقفهم في الموقف للحساب لأن ظاهره يقتضي أن يكونوا في النار حين يأتي
اليوم أو مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ إن كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم
وعلى هذا التأويل يحتمل أن يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو
من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل إلا هاهنا بمعنى سوى كقولك علي ألف
إلا ألفان القديمان والمعنى إلا ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على
مدة بقاء السموات والأرض إن ربك فعال لما يريد من غير اعتراض وأما الذين
سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء
غير مجذوذ غير منقطع وهو تصريح بأن الثواب لا ينقطع وتنبيه على أن المراد
في الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولأجله فرق بين الثواب والعقاب في التأبيد
وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى أسعده
وعطاء نصب على المصدر المؤكد أي أعطوا عطاء أو الحال من الجنة فلا تك في
مرية مما يعبد شك بعد ما أنزل إليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من
عبادة هؤلاء المشركين من أنها ضلال مؤد إلى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت
عليك عاقبة سوء عبادتهم أو من حال ما يعبدونه في أنه لا يضر ولا ينفع
ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن المرية
أي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة إلا كعبادتهم أو ما يعبدون
شيئا إلا مثل ما عبدوه من الأوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم

مثله

مثله لأن التماثل في الأسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان
يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وإنا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآ
بائهم أو من الرزق فيكون عذرا لتأخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص
من النصيب لتقييد التوفية فإنك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء
بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر
به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة
الإنظار إلى يوم القيامة لقضي بينهم بإنزال ما يستحقه المبطل ليتميز به
عن المحق وإنهم وإن كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب موقع للريبة
وإن كلا وإن كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف
إليه وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الإعمال اعتبارا للأصل
لما ليوفينهم ربك أعمالهم اللام الأولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد أو
بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد
على أن أصله لمن ما فقلبت النون ميما للإدغام فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت
أولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء أعمالهم وقرئ لما بالتنوين أي جميعا
كقوله أكلا لما وإن كل لما على أن إن نافية ولما بمعنى إلا وقد قرئ به إنه بما يعملون
خبير فلا يفوت شيء منه وإن خفي فاستقم كما أمرت لما بين أمر المختلفين في التوحيد
والنبوة وأطنب في شرح الوعد والوعيد أمر رسوله بالاستقامة مثل ما أمر
بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث
يبقى العقل مصونا عن الطرفين والأعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما أنزل
والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وإفراط مفوت للحقوق ونحوها
وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه السلام شيبتني سورة هود ومن تاب
معك أي تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم
وإن لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم
إنه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للأمر والنهي وفي
الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس
واستحسان ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار بركونكم إليهم وإذا كان
الركون إلى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون إلى الظالمين الموسومين
بالظلم ثم بالميل إليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية أبلغ
ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين